# مجلة العلوم الشرعية والقانونية

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية القانون

بالخمس

جامعة المرقب

العدد الأول لسنة **2013**

ملاحظة /

الآراء الواردة في البحوث على مسؤولية أصحابها، وهم وحدهم المسؤولون عن صحة المعلومات وأصالتها، وإدارة المجلة لا تتحمل أي مسؤولية في ذلك.

للاتصال برئيس التحرير:0913205070 / 0927233083

مجلة العلوم القانونية

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية القانون الخمس
جامعة المرقب

رئيس التحرير
د. إبراهيم عبدالسلام الفرد

هيئة التحرير:
د. مصطفي إبراهيم العربي
د. عبدالمنعم امحمد الصرارعي
د. أحمد عثمان احميده

اللجنة الاستشارية:
أ. د. عبدالسلام أبوناجي.
أ. د. محمد عبدالسلام ابشيش.
د. عمر رمضان العبيد.
د. عبد الحفيظ ديكنه.
أ. د. محمد رمضان باره.
د. على أحمد اشكورفو.
د. امحمد على أبوسطاش

فهرس الموضوعات

**كلمة رئيس التحرير**..... 5
**الانتخاب أداة لإسناد الحكم**
د. فتح الله محمد حسين السريري .....6
**أحكام النفقة في الشريعة الإسلامية**
د. إبراهيم عبدالسلام الفرد .....33
**التعريف بابن عبدالسلام المالكي**
د. عبد اللطيف عبد السلام العالم .....59
**الفيدرالية واللامركزية، أيهما أصلح للحالة الليبية؟**
د. عادل عبد الحفيظ كنديز.....83
**المال وطرق اكتسابه وأوجه إنفاقه في ظل الشريعة الإسلامية**
د. عمر رمضان العبيد .....92
**النّص وآليات فقه السياق مفاهيم أولية**
أ . علي عبد السلام اشميلة .....122
**تأملات في جرائم الاموال العامة**
د. خالد محمد ابراهيم صالح .....184
**مدى مشروعية تقنية حفظ وتجميد النطف والأجنة في القانون الجنائي الليبي "دراسة مقارنة"**
د. عبد الله عبد السلام عريبي .....217
**منع وقمع الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني**
د. صالح احمد الفرجاني .....257
**نحو نظام خاص لتعويض المضرورين من الحوادث الإرهابية**
د. علي أحمد شكورفو .....275
**البطلان كجزاء إجرائي على قواعد التفتيش**
د. احميدة حسونة الداكشي .....296

## كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، وجعله خليفة في الأرض، وكرمه وفضله على كل الخلائق، والصلاة والسلام على نبينا محمد ـ ﷺ ـ وعلى آله وأصحابه الكرام الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

فبفضل الله ـ تعالى ـ نفعل هذا الصرح العلمي المبارك بإذن العلي القدير كلية القانون بالخمس ، ويكون العدد الأول من مجلة الكلية الموسومة ب( مجلة العلوم الشرعية والقانونية) مواكباً لها في نفس السنة، وحقيقة الأمر أن هذا لم يحدث من قبل، فهذا الإنجاز يحسب لجامعة المرقب وإدارتها، من حيث التفهم لمتطلبات العملية التعليمية، فنشكر كل من بدل جهداً في انجاح هذا العمل خدمة للوطن الحبيب.

ونأمل من الأساتذة الكرام أن يكونوا على تواصل مع مجلتنا الوليدة، ويشاركوا في إنجاحها بالمساهمة بالبحوث العلمية التي تفيد المجتمع أو ينبهون لما يقع منا من سهو دون قصد، فالكمال لله وحده.

ومسار عملنا سيكون بعون الله ـ تعالى ـ خدمة أحكام شريعتنا وتوضيح ما يحتاج إلى الإيضاح من خلال ما يكتبه السادة البحاث، وكذلك دراسة القوانين وابداء الملاحظات عليها ونقدها، وتوضيح ما يخالف الشريعة منها إن وجد، وتطوير ما يلزمه التطوير ليواكب حركة المجتمع وتقدمه وخصوصيته.

ونأمل أن تكون مجلتنا ربط بين التلاميذ ومصادر المعلومات الحديثة، وبين البحاث بعضهم ببعض، ورافداً من روافد المعرفة البشرية.

يسر الله ـ تعالى ـ ما فيه صلاح البلاد والعباد،

**وما التوفيق إلا من عند الله.**

# التعريف بابن عبدالسلام المالكي

إعداد الدكتور: عبد اللطيف عبد السلام العالم
عضو هيئة التدريس بالجامعة الأسمرية

**بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**

الحمد لله وكفى، وصلَّى الله على نبيه المصطفى، و على آله وصحبه ومن اجتبى، وسلَّم تسليمًا كثيرًا عدد ما أحاط به علمك، ووسعته قدرتك، و خطَّ به قلمك، و أحصاه كتابك، و بعد:

فإنَّ دراسة سيرة أعلام الأمة الإسلامية، وتتبع مآثرهم ومناقبهم، والتعريف بمجهوداتهم العلمية، أمر في غاية الأهمية لكل من أراد أن يبتعد عن الأوهام والضلالات، ويتنحى عن المزالق والمتاهات، وينجو بنفسه وأهله يوم الصراط، ثم إن تمسُّك أبناء الأمَّة الإسلاميَّة بتراث أسلافهم، و العمل على حفظه من الاندثار و الضَّياع بتكاثف الجهود من أجل تحقيقه، و نشره لكافَّة القرَّاء لدليلٌ واضحٌ على رقيِّ المستوى الحضاري لهذه الأمَّة، خاصَّةً ما يتعلَّق بالجانب الدِّيني منها، فإنَّ خزائن التراث الإسلامي محتويةٌ على كتب هامَّةٍ في الفقه، و السنَّة و السيرة النَّبويَّة، سطَّرها أسلافنا العظام عبر القرون الماضية، و قد ادَّخروها جيلاً بعد جيل؛ لتنتفع بها هذه الأمَّة، و لا يزال جلُّ تلك المدَّخرات النفيسة يئنُّ تحت وطأة الغبار، و يتوجَّع من آثار الأرضة، و غيرها التي تعمل على إتلافها ليل نهار.

و قد أوجب الله سبحانه و تعالى على هذه الأمَّة أن تنفر طائفةٌ منها للنهوض بالجانب الديني، و المحافظة عليه، فهو من أوجب الواجبات و أقدسها؛ لأنَّه يمثِّل مدى ارتباط هذه الأمَّة بدينها، قال تعالى ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[1].

1. سورة التوبة . الآية 122 .

وحيث إنَّ هناك تلازمًا كاملاً، و ارتباطًا وثيقًا بين التمسُّك بالدِّين و الاهتمام بما يتَّصل بهذا الدِّين فإنَّ الاهتمام بتراث الأمَّة، والاهتمام بعلماء السلف أولئك الذين وهبوا أوقاتهم، وأموالهم خدمةً للدين ونصرةً له، ولم تشغلهم زوجاتهم، ولا أولادهم عن حمل لواء العلم والنهوض به، كل ذلك من ماهيّة التمسُّك بالدِّين؛ لذلك وجب على طائفةٍ من هذه الأمَّة أن تكون مهتمَّةً بهذا المجال، قائمةً به على أحسن صورةٍ، و أتمِّ حال، و حَسْبُ أولئك الرجال شرفًا أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنار بهم سبيل الخير، فدلَّلوا الفقه للدَّارسين و المتفقِّهين في دينهم، و حسْبُهم فخرًا أنَّهم انضووا تحت قول المصطفى ـﷺ ـ: **(( من يردِ الله به خيرًا يفقِّهه في الدِّين ))** [1] .

و إذا كانت الأمَّة الإسلاميَّة لا غنى لها عن السير على نهج هؤلاء الرجال في أيِّ وقتٍ و حين فما أحوجها إليه في هذا الوقت، و ما أشد حاجتها لانتفاعها به في هذه الأيام، فالنفوس غلبت عليها المادَّة، و الأهواءُ تملَّكت الناسَ، و صارت تُسيِّرهم كما تشاء، و البعدُ و الجفاءُ عن العلم و العلماء صار الطَّابع المميِّز لأبناء هذه الأمَّة الإسلاميَّة في هذا الزَّمان، حتَّى صار من سلك نهج العلم و ابتعد قليلاً عن متاع الدَّنيا غريبًا بين أبناء جيله، كلُّ ذلك يزيد من تدهور و انحطاط حال الأمَّة الإسلامية، ولا مناص لصحو الأمة من غفلتها، والنهوض بحضارتها، و استعادةِ أمجادها إلا بالسير على نهج أسلافها، الذين أنتجوا نهضةً علميَّةً تمثَّلتْ في إنشاء المدارس الفقهيَّة وتنوُّعها، تلك المدارس كان لها أعلامٌ و روَّادٌ، أدَّوا أمانة العلم، وعملوا بما أُمروا به .

وقد كان من بين أعلام المدرسة الفقهيَّة في القرن الثَّامن الهجري الإمام المجتهد و الفقيه المفتي قاضي الجماعة بتونس أبو عبد الله محمد بن عبد السَّلام الهوَّاري ( 679 – 749 هـ ) الذي ترك لنا تراثًا و كتبًا فقهيَّةً راجتْ من بعده، و

---

1. متفق عليه ، واللفظ للبخاري . صحيح البخاري ، بَاب من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا ... ، حديث رقم 71 ، ج 39/1 .

اشتهرتْ، و كانت ثمرة عطائه في ميدان العلم الذي كان من فرسانه البارزين، و في ميدان التَّدريس الذي ضرب فيه بنصيبٍ و فيرٍ .

هذا العلم الفذ التبس اسمه على كثير من المؤلفين والمترجمين من بعده، فمنهم من اعتقد أنه صاحب كتاب التعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات لابن الحاجب، وهو غير ذلك لأن صاحبه ابن عبد السلام الأموي، وقد أشار محققا الكتاب د حمزة أبو فارس و د محمد أبو الأجفان إلى هذا الوهم والخلط في مقدمة الكتاب[1]، ومنهم من اعتقد أنه ابن عبد السلام صاحب كتاب الوثائق، وهو كتاب مطبوع لمؤلف متأخر بكثير عن ابن عبد السلام المنستيري[2]، ناهيك عمن يصرف هذا الاسم إلى سلطان العلماء العز ابن عبد السلام، لذلك ولغيره اخترت هذا الشخصية للدراسة والبحث فهو أحد أعلام العهد الحفصي الذي نفقتْ فيه سوق العلم، و تلاقتْ تيَّارات المعرفة باجتماع الرَّوافد الأندلسيَّة و المغربيَّـة و المشرقيَّة بالبلاد التونسيَّة الأصيلة .

هذا العَلَمُ الذي ترك لنا أثرًا فقهيا عظيما من آثاره العلميَّة هو من طبقة مشيخة ابن عرفة و ابن خلدون و ابن باديس، بل هو صاحب الحظ الأوفر في تدريسهم، ويمتاز هذا الأثر الفقهي بالآتي:

1 ـ جريان الأحكام فيه على المشهور من مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ السَّائد في ربوع المغرب .

2 ـ أنَّه كتابٌ جامعٌ لأبواب الفقه على المذهب المالكي، موثّقٌ لمسائله بالأدلَّة الشرعيَّة، ينسبُ آراء أكبر الفقهاء المالكيَّة لأهلها .

3 ـ يعتبر هذا الكتاب من أفضل شروح مختصر ابن الحاجب الفقهي، كما اعتمد عليه كثيرٌ من الفقهاء في النَّقل و التَّأليف .

---

1. انظر / التعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات لابن الحاجب ص:32 .

2. عنوان هذا الكتاب كما ورد في الصفحة الأولى منه / هذا شرح الفقيه العلاَّمة المحقق القاضي سيدي عبد السلام ابن سيدي محمد الهواري لوثائق الفقيه العلاَّمة المفتي النوازلي سيدي محمد بن أحمد بناني . طبع على نفقة الشركة المغربية لأصحابها القادريين وأبي عبد الله . شارع السبطريين . فاس سنة 1368 ـ 1949 .

4 ـ اتَّصف صاحب هذا الشَّرح بالأمانة في النَّقل، و الدِّقة في ضبط الأقوال و عزوها إلى أهلها، فقد ظهر ذلك جليًا من خلال تتبُّعي و مُراجعتي للأقوال التي ذكرها منسوبةً لأصحابها في مؤلَّفاتهم التي تمكَّنتُ من الوصول إليها، أو في غيرها من تلك التي أكَّد أصحابها صحَّة نسبة هذه الأقوال إليهم، مما أضفى على هذا الشرح قيمة علمية عظيمة .

5 ـ لم يقتصر ابن عبد السَّلام في إيراده للأحكام و الأقوال على المشهور، أو المعتمد منها فقط، بل إنَّه كثيرًا ما يتعرَّض لذكر الخلاف في أحكام المسائل، و ما فيها من أقوال و آراءٍ غير مشهورةٍ مع ذكر أدلَّة بعضٍ منهم أحيانًا و الإشارة إلى سبب منشأ الخلاف أحيانًا أخرى، و ترجيح أحد هذه الآراء كما تبيَّن له، و اتَّضح .

6 ـ شرح ابن عبد السَّلام هو من أهمِّ الكتب التي طالما افتقرت المكتبة الفقهيَّة المالكيَّة لمثلها؛ فهو من الذَّخائر النَّفيسة المعوَّل عليها، و الملتقاة بالقبول و الاستحسان، و هو شرحٌ كثرت النُّقول عنه، و الأخذ منه في كثيرٍ من الأبواب و المسائل الفقهيَّة في الكتب التي تلته في التَّأليف .

7 ـ نجح هذا الكتاب مع دقَّة تركيب ألفاظه، و سهولتها، و وضوحها في إعطاء صورة دقيقة، و مفيدة تظهر مدى اهتمام فقهاء المذهب، وأعلام المالكيَّة بإيعاز آرائهم الفقهيَّة إلى أدلَّتها، و اعتمادهم على المشهور منها الظَّاهر دليلها، خاصَّة و أنَّ إمام المذهب المالكي قد أسَّس لنفسه قاعدةً في اتِّباع الأدلَّة الشرعيَّة اتَّضح من خلالها منهجه في اعتماده على المشهور الذي قوي دليله، و ليس الذي كثُر قائلوه .

8 ـ أسلوب الشَّارح، و ثراؤه العلمي في جوانب اللغة، و الفقه، و الأصول مرآةٌ عاكسةٌ لقيمة الكتاب الفنية، و صورةٌ واضحةٌ للنَّهضة العلميَّة الفائقة التي زخر بها عصر ابن عبد السَّلام خاصَّةً تلك البلاد التونسيَّة مركز الثَّقافة، و مشعل الحضارة، و مهد العلم و العلماء.

9 ـ بيَّن هذا البحث موقف ابن عبد السَّلام من الشَّاذ بعدم الحمل عليه إذا كان في الإمكان حَمْل الكلام على وجهٍ صحيحٍ، و اتِّباع الدَّليل الأقوى حتَّى و إنْ أدَّى به ذلك إلى مخالفة علماء المذهب و موافقة أحد المذاهب الأخرى، و الله أعلم .

و قد اطَّلعتُ على هذا الأثر، و بانتْ لي قيمته العلمية، و أسلوبه السهل البديع لذلك بدا لي واضحا ضرورة التعريف به وبصاحبه :

**ـ التَّعريف بابن عبد السَّلام:**

القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد السَّلام بن يوسف بن كثير الهوَّاري نسبًا إلى هوَّارة قبيلةٌ من البربر مكافئون لزناتة في العصبيَّة، المنستيري ، منسوبٌ لقريةٍ بظاهرها بين المهديَّة و سوسة بأفريقيَّة، المالكي التونسي .

و أغلب الذين ترجموا له قد تكرَّرت لديهم المعلومات عنه رغم نُدرتها و اختصارها، و من أراد أن يقف على ترجمة المؤلِّف في صفحات الكتب التي نقلتُ عنها لعلَّه بذلك ينال بغيته، و يستزيد أشياء قد غفلتُ عن ذكرها فليبحث عن ترجمة المؤلِّف في هذه المصنَّفات [1].

**ـ مولده :**

اتَّفقتْ كتب التَّراجم التي تمكَّنتُ من الاطِّلاع عليها على تاريخ ميلاد الفقيه العالم قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السَّلام الهوَّاري و ذلك سنة: ستمائة و تسـع و سبعين للهجرة .

---

1. تاريخ الدولتين ص : 180 و تاريخ قضاة الأندلس ص : 161 و الدِّيباج المذهب 329/2 و تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان و حوادث السنين مع موسوعة أعلام المغرب 647/2 و لقط الفرائد من لفاظة حقوق الفوائد مع موسوعة أعلام المغرب 650/2 و شرف الطالب في أسنى المطالب مع موسوعة أعلام المغرب 653/2 و وفيات الونشريسي مع موسوعة أعلام المغرب 647/2 و نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب 251/5 ، 88/6 = 89 ، 216 و إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون 351/1 و كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون 487/1 و نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص : 406 و تراجم المؤلِّفين التُّونسيِّين 325/3 و هديَّة العارفين 155/2 = 156 و أزهار الرِّياض 28/3 و الوفيات لابن رافع السَّلامي 69/2 و وفيات ابن قنفد : ص 56 و كتاب العمر في المصنَّفات و المؤلِّفين التونسيِّين 207/1 = 208 و شجرة النُّور الزكيَّة ص : 210 و الأعلام 205/6 و تاج المفرق 76/1 = 77 و الفكر السَّامي 75/4 = 76 و لقط الفرائد ( ألف سنة من الوفيات ) ص : 201 .

**ـ وفاته :**

توفي هذا الجبل من العلم و الورع و الصَّلاح في أوائل الطَّاعون النَّازل ببلده، في الثَّامن و العشرين من شهر رجب سنة سبعمائة و تسع و أربعين للهجرة، و قبله بثلاثة أيَّام مات ولده، بعد أن أُصيبا بهذا الوباء الفتَّاك، و احتمله طلبتُه إلى قبره و هم حفَاةٌ، مزدحمون على نعشه، و دُفنوه بالجلاَّز[1]، نفعهم الله و إيَّاه بفضله[2] .

**ـ انتصابه للتَّدريس :**

بعد أن استكمل ابن عبد السَّلام تحصيله العلمي، لم يألو جهدًا في العمل على نفع النَّاس بما تعلَّمه، فصار يقضي جلَّ وقته متصدِّرًا لحلقات الفتيا و التَّدريس في حلقات المساجد، كما أشار إلى ذلك تلميذه لسان الدِّين الخطيب حيث قال:

ثمَّ رحلتُ إلى تونسٍ فلقيتُ بها قاضيِ الجماعة، و فقيهها أبا عبد الله محمد بن عبد السَّلام، فحضرتُ تدريسه، و أكثرتُ مباحثته، و لمَّا نزلتُ بظاهر قسمنطية تلقَّاني رجلٌ من الطَّلبة فسألني عن هذه الآية ﴿ **و إنْ لم تفعلْ فما بلَّغتَ رسالته**﴾[3]، فإنَّ ظاهرها أنَّ الجزاء هو الشَّرط : أي و إنْ لم تبلِّغْ فما بلَّغتَ، و ذلك غير مفيدٍ .

فقلتُ: بل هو مفيدٌ، أي: و إنْ تبلِّغ في المستقبل لم ينفعُك تبليغك في الماضي، لارتباط أوَّل الرِّسالة بآخرها، كالصَّلاة و نحوها، بدليل قصَّة يونس، فعبَّر بانتفاء ماهيَّة التَّبليغ عن انتفاء المقصود منه، إذا كان إنَّما يُطلبُ و لا يُعتبر بدونه، كقوله ـﷺ: (( **لا صلاة إلاَّ بطهورٍ** )) ثمَّ اجتمعتُ بابن عبد السَّلام بجامع

---

1. من أكبر مقابر تونس منذ العهد الحفصي، و هي منسوبةٌ إلى أبي محمَّدٍ الجلاَّز، أصله من القيروان، انتقل إلى تونس، و عاصر أبي الحسن الشَّاذلي، و اشترى الأرض الكائنة بالجبل من يهودي، و حبَّسها لتكون مقبرةً للمسلمين فعرفت باسمه إلى اليوم . انظر / هامش ص: 113 من كتاب تاريخ الدولتين .
2. انظر / تاريخ الدَّولتين ص : 180 و تاريخ قضاة الأندلس ص : 163 و الديباج 330/2 .
3. سورة المائدة ، الآية : 67 .

بوقير من تونس، فسألته عن ذلك، فلم يزد على أن قال: هذا مثل قوله ـﷺـ: **((فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله ))**، و قد علمتم ما قاله الشيخ تقي الدِّين فيه[1] .

**ـ تولِّيه القضاء :**

حظي المترجم قبل تولَّيه منصب القضاء بصيتٍ ذائعٍ عمَّ أرجاء البلاد، و انتشر أريجه بين أرجاء المعمورة، ساهم في ذلك اهتمامه بالتَّدريس و الوعظ و الإرشاد في بلاده، أو انتقاله بين مدارس بلدته، و قد حفظتْ لنا بعض المصادر ما يُظهر مكانته العلميَّة المرموقة، و يوضِّح لنا بشكلٍ جليٍّ كيف كان يقضي جلَّ وقته في هذه المهنة الشَّريفة، كما أنَّه تولَّى الخطابة بالجامع الأعظم حينما استخلفه الشَّيخ أبو موسى هارون الحميري خطيبًا بجامع الزَّيتونة بتونس، غير أنَّ الشحناء التي غالبًا ما يكون سببها المعاصرة بين أهل العلم حالتْ بينه و بين الخطابة فما أنْ بلغ ذلك قاضي الجماعة حينئذٍ ابنِ عبد الرَّفيع حتَّى قدَّم الشَّيخ أبا عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد السَّتَّار، و أخَّر ابنُ عبد السَّلام .

فقيل له: أبجرحةٍ هذا ؟ .

قال: لا، لكن أهلُ تونس ما يُولُّون جامعهم إلاَّ لمن هو من بلدهم .[2]

و كما أشرتُ سلفًا فإنَّ علمه الغزير، و خلقه الرَّفيع، و حزمه و شدَّته، كلُّ ذلك أهَّله لأنْ يتولَّى قضاء الأنكحة بتونس، ثمَّ عُيِّن قاضيًا للجماعة بها إثر وفاة قاضي الجماعة أبو عمر ابن قدَّاح الهوَّاري سنة سبعمائة و أربع و ثلاثين، فكان ـ رحمه الله ـ في أقضيته على نحو ما وصف به وكيعٌ في كتابه للقاضي إسماعيل بن إسحاق، حيث قال:

و أمَّا شدائده في القضاء، و حسن مذهبه فيه، و سهولة الأمر عليه فيما كان يلتبس على غيره، فشيءٌ شُهْرَتُهُ تغني عن ذكره، إلى ما عرف به في قطره من

---

1. انظر / نفح الطِّيب 251/5 .
2. انظر / تاريخ الدَّولتين ص : 138 و مسامرات الظريف 187 و شجرة النور ص : 207 .

القوَّة على أمر النَّاس، و الاستخفاف بسخطهم، و ملامتهم في حقِّ الله، و حفظ ما يرجع إلى رسوم القضاء[1] .

كما أيَّد ذلك ابنُ عرفة في ذكره قصَّة تولِّيه القضاء فقال:

ـ ( لمَّا مات القاضي ابن قدَّاح بتونس، تكلَّم أهلُ مجلس السّلطان أبي يحيى في ولاية قاضٍ، فذكر بعض أهل المجلس الشيخ ابن عبد السَّلام، فقال بعض أهل المجلس الكبارً:

إنَّه شديد الأمر و لا تُطيقونه .

فقال بعضهم: نستخبر أمره، فدسُّوا عليه رجلاً من الموحِّدين كان جارًا له، يُعرف بابن إبراهيم، فقال له: هؤلاء امتنعوا من توليتك لأنَّك شديد في الحكم .

فقال له ابن عبد السلام: أنا أعرف العوائد و أُمشِّيها .

فحينئذٍ ولّوه من عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة للهجرة إلى أن توفي عام تسعة و أربعين و سبعمائة للهجرة حسبما يذكر بعد .

قال الشيخ البرزلي في تأليفه بعد أن ذكر هذه الحكاية:

لعلَّه إنَّما ذكر ذلك لأنَّه خاف أن يتولَّى من لا يصلح بوجهٍ، فكان كلامُه مانعًا منه[2] .

**ـ صفاته:**

لم يغفل بعض التَّلاميذ و طلبة العلم عن تدوين كل ما يتعلَّق بحياة مشائخهم، وذكر جميع صفاتهم و مزاياهم، غير أنَّ هذا الاهتمام وقع فيه تفاوتٌ كبيرٌ، فمنهم من قد أطنبوا في حقِّه، و منهم من اقتصروا على ذكر بعض جوانب حياته، و منهم من أشاروا إليه في لمحةٍ وجيزةٍ، بل إنَّ بعضهم قد غفلوا حتَّى عن ذكر ترجمته لأسبابٍ لا نعرف كنهها .

---

1. تاريخ قضاة الأندلس ص : 161 .
2. انظر / تاريخ الدولتين ص : 146 .

وقد وصفه معاصروه، ومن اهتمَّ بتتبُّع سيرة حياته، ومكانته العلميَّة بكثرة التَّبتُّل، والعبادة، و الاهتمام بشؤون العلم و المعرفة، و التَّواضع، و الرِّقَّة لتلاميذه، و مناظريه .

إضافةً إلى كلِّ هذا فقد عُرِفَ بعدالته في الحكم، و شجاعته في الحقِّ، و جهاده في الله عزَّ وجلَّ، و لا أدلَّ على هذا من أنَّه حين تولَّى القضاء كان حميد السِّيرة، نزيه الحكم، لا تأخذه في الله لومة لائم، القويُّ عنده ضعيفٌ حتَّى يأخذ الحقَّ منه، والضَّعيفُ عنده قويٌّ حتَّى يأخذ الحقَّ له، وما أكثر من غوى وضلَّ من أصحاب هذا المنصب بقبولهم الرَّشا، والهدايا !؟.

غير أنَّ القاضي ابن عبد السَّلام كان من أزهد النَّاس في الدُّنيا، وأخشاهم لحدود الله ـ سبحانه و تعالى ـ و أبعدهم عن مواطن الشَّكِّ و الرِّيب، رغم ضيق الحال التي كان يعيشها، و مصاعب الحياة التي كانت تكتنفه بين الفينة و الأخرى، و شدَّةُ الفقر الذي منعه في بعض الأحيان حتَّى من إظهار مؤلِّفه العلمي المشهور ( تنبيه الطَّالب لفهم ألفاظ جامع الأمَّهات لابن الحاجب ) منعه من إظهاره بالمظهر الحسن الذي كان يصبو إليه، فقد ذُكرَ عنه أنَّه احتاج إلى ( تفريع ابن الجلاَّب ) للوقوف على مسائل فيه، و لكنَّ شدَّةَ الحال، و قلَّة المال حالا بينه و بين الوصول إليه إلى أنْ يسَّر الله له الأمور فأتمَّ شرحه على الصُّورة التي لم يسبقه إليها غيره[1] .

أمَّا عن أوصاف ابن عبد السَّلام الخَلْقِيَّةِ فقد تمكَّن الشيخ أبو الحسن المالقي[2] من ذكر بعض من أوصافه، و محاسنه فقال عنه:

إنَّه سَمِيٌّ مالك بن أَنس، و شبيهه نحلةً، و حمرةً، و شقرةً ـ رضي الله عنهما، و رحمهما رحمةً واسعةً ـ[3] .

---

1. انظر / الدِّيباج 330/2 .

2. ولد هذا الشيخ سنة: 713هـ، و قال صاحب الديباج: لم يُعثر على تاريخ وفاته، غير أنَّه قال: مازال بقيد الحياة سنة: 792هـ . انظر / تاريخ قضاة الأندلس في الصفحات الأولى من مقدمة الكتاب ، و نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص : 329 = 330 .

3. تاريخ قضاة الأندلس ص : 163 .

**ـ شيوخه**

تناثرت أسماء شيوخ ابن عبد السَّلام في صفحات كتب التَّراجم، و غفل المترجمون عن ذكر الكثير منهم، و مِنْ جملة مَنْ ذُكر من هؤلاء الشُّيوخ:

1 ـ أبو العبَّاس أحمد بن موسى الأنصاري الشهير بالبطرني، فقيهٌ مقرئٌ، صالحٌ، أخذ عن أئمَّةٍ منهم أبو عمر بن شقر، و قد تحصَّل ابن عبد السَّلام على إجازةٍ منه، ولد سنة: 668 هـ ، و توفي سنة 710 هـ [1] .

2 ـ أبو يحي أبو بكر بن القاسم بن جماعة الهوّاري التّونسي، فقيهٌ مالكيٌّ، صاحب البيوع المشهورة المعروفة ببيوع ابن جماعة، أخذ عن جماعة من العلماء منهم تقيّ الدّين بن دقيق العيد، و قد شرح بيوعه أبو العبّاس القبّاب، توفي سنة: 712 هـ[2] .

3 ـ أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن راشد القفصي، الفقيه الأصولي، المؤلِّف، المتقن، أخذ عن جماعةٍ من أهل المشرق و المغرب كابن الغمَّاز، و حازم، و الشمس الأصفهاني، و ابن المنير، و الشهاب القرافي، و أخذ عنه جماعة منهم: ابن مرزوق الجد، و الشيخ عفيف الدين المصري، حجَّ سنة: 680 هـ ثم رجع بعلمٍ جمٍّ، و تولَّى قضاء قفصة، توفي سنة: 736 هـ[3].

4 ـ أبو عبد الله محمَّد بن يحي بن عمر المعافري المعروف بابن الحباب، الامام الأصولي الجدلي، وقع له مع ابن عبد السلام مناظراتٌ، أخذ عن ابن زيتون، و غيره، و عنه جماعة منهم: المقري الذي كان بينه و بين ابن عبد السلام مناظرا ت، و ابن عرفة، و كان يثني عليه بالعلم، و قد نقل عنه في مختصره، و خالد البلوي، من أشهر تصانيفه: تقييده على معرب ابن عصفور، و اختصار المعالم، توفي سنة: 749 هـ [4] .

---

1. انظر / شجرة النور ص : 205 .
2. انظر / شجرة النّور ص: 205 – 206 .
3. انظر / تاريخ الدولتين ص : 150 و نيل الابتهاج ص : 392 و ما بعدها و شجرة النور ص : 207 = 208 .
4. انظر / تاريخ الدولتين ص : 179 و نيل الابتهاج ص : 399 و شجرة النُّور ص : 209 .

5 ـ أبو عبد الله محمَّد بن عبد السَّتَّار التونسي، أحد أعلامها الأخيار، تولَّى الإمامة والخطابة والإفتاء بجامع الزَّيتونة، موصوفٌ بالورع و الفضل، محدِّثٌ متَّسع الرِّواية، أخذ عن أئمَّةٍ، و عنه المقري، و خالد البلوي، توفِّي سنة: 749 هـ و عمره يزيد عن التسعين[1] .

6 ـ أبو عبد الله محمَّد بن هارون الكناني التُّونسي، فقيهٌ، أصوليٌّ، بلغ درجة الاجتهاد المذهبي، أخذ عن المعمَّر أبي عبد الله بن هارون الأندلسي، و أخذ عنه: ابن عرفة، و ابن مرزوق الجد، و أحمد بن حيدرة، و خالد البلوي، و غيرهم، من أشهر مؤلَّفاته: شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي و مختصره الفرعي، و شرح الحاصل، و له مختصر المتيطيَّة، ولد سنة: 680 هـ، و توفي سنة: 750 هـ[2] .

7 ـ أبو الحسن علي بن المنتصر التَّونسي عالمٌ زاهدٌ، أشار أبو علي عمر بن قدَّاح الهواري في كتابه ( المسائل الفقهيَّة ) إلى أنَّه أحد أشياخ ابن عبد السَّلام، و قد أدرك ابن عرفة الشيخ أبا الحسن علي بن المنتصر، و قال عنه:

( لم أدركْ مبرزًا إلاَّ هو و ابن عاشر بالمغرب ) حجَّ معه ابن جماعة التُّونسي سنة: 699 هـ، توفي سنة: 742 هـ [3] .

**ـ تلاميذه:**

نجح ابن عبد السَّلام في تأسيس حلقة علمٍ عظيمةٍ جعلت الدَّاني و القاصي يقصدها، فخرَّج طلبة علمٍ، لمع نجمهم بين أقرانهم، و ذاع صيتهم بين العباد، و حملوا لواء العلم طيلة عقود زمنيَّةٍ متتاليةٍ، و قد حفظ لنا التَّاريخ أسماءهم، و أعمالهم، و كيف كانوا علمًا لغيرهم إلى وقتنا الحاضر، و كيف أضاؤا بما ورثوه عن مشائخهم ما حولهم من ظلمات الجهل و التخلَّف، و قد تعهَّدت كتب التَّراجم بحفظ أسماء أشهر تلاميذ المؤلِّف، و اختصرت لنا سيرة حياتهم في أسطرٍ غاية في الإجادة، و من بين هؤلاء التلاميذ:

---

1. انظر / تاريخ الدولتين ص : 139 و نيل الابتهاج ص : 395 و شجرة النور ص : 210 .
2. انظر / شجرة النُّور ص : 211 .
3. انظر / المسائل الفقهيَّة ص : 169 و شجرة النُّور ص: 209 .

1 ـ أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن حيدرة التونسي، معاصرٌ لابن عرفة، وقع بينهما نزاعٌ في مسائل، أخذ عن ابن عبد السَّلام و غيره، و أخذ عنه القاضي أبو مهدي الغبريني، و الحافظ البرزلي، و القاضي أبو عبد الله القلشاني، و عمر و أحمد القلشانيان، كما أثنى عليه كثيراً ابن خلدون، ولد سنة: 682 هـ[1] .

2 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله الشَّريف العواني القيرواني، من بيت علمٍ و فضلٍ، تولَّى قضاء القيروان، أخذ عن الرمَّاح، و ابن عبد السَّلام و به تفقَّه، و أخذ عنه الشيخ الشبيبي و غيره، توفي سنة: 757 هـ [2].

3 ـ أبو القاسم أحمد بن أحمد الغبريني، قاضي الجماعة بتونس، و إمامها و خطيبها بجامع الزيتونة، أخذ عن ابن عبد السَّلام و طبقته، و من أشهر تلاميذه أبو الطيب بن علوان، و البرزلي، و أبو مهدي عيسى الغبريني، و أبو عبد الله القلشاني، توفِّي سنة: 772 هـ[3] .

4 ـ أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الجليل بن فندار المرادي القيرواني، معروفٌ بابن عظُّوم، تولَّى قضاء قفصة ثمَّ القيروان، توفِّي سنة: 782 هـ[4] .

5 ـ أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عرفة الورغمي التونسي، إمام جامع الزيتونة و خطيبه خمسين سنةً، روى عن ابن عبد السَّلام، و سمع منه، و انتفع به، و قد كان يناقشه في بعض المسائل، و يخالفه الرَّأي فيها أحيانًا، من ذلك ما رواه الزركشي في كتابه حيث قال:

شوِّر القاضي أبو علي في عقدة النِّكاح بين ذميين بشهادة المسلمين، فأباحه، فسمع قاضي الجماعة فأنكره، فوجَّه قاضي الأنكحة هذا لعدول تونس، و أمرهم بالشهادة فيه، و ألَّف كتابًا في إباحة الحكم بينهم، و الشَّهادة عليهم، و في أحكام أنكحتهم و سمَّاه ( إدراك الصَّواب في أنكحة أهل الكتاب ) و ألّف قاضي الجماعة كتابًا على صحَّة قوله، ذكر ذلك ابن عبد السَّلام عنهما .

---

1. انظر / نيل الابتهاج ص : 106 و شجرة النور ص : 225 .
2. انظر / شجرة النور ص : 224 .
3. انظر / نيل الابتهاج ص : 104 و شجرة النور ص : 224 .
4. انظر / شجرة النور ص : 225 .

قال ابن عرفة، قلتُ لابن عبد السَّلام: ما الصَّواب عندك ؟ .

قال: المنع؛ لأنَّهم لا يتحفَّظون في أنكحتهم .

قال ابن عرفة: و الصَّواب عندي الجواز؛ لأنَّا لا نطالبهم بما يجوز عندنا شرعًا، و لا تضرُّنا مُخالفتهم في ذلك[1] .

و من شيوخ ابن عرفة محمَّد بن هارون، و محمَّد بن الحباب، و ابن قداح، و محمَّد بن حسن الزبيدي، و محمَّد بن سلامة، و الشَّريف التلمساني، و تلمذ على يديه مجموعةٌ من الطلبة لا يسع المقام لحصرهم منهم البرزلي، و الأبي، و ابن ناجي، و ابن عقاب، و أحمد القلشاني، و ابن الخطيب، و عيسى الغبريني، و ابن فرحون، و غيرهم، من أشهر مصنَّفاته مختصره في الفقه الذي أجاد فيه و أبدع، و الحدود الفقهيَّة، و اختصر فرائض الحوفي، و تأليفٌ في الأصول عارض فيه طوالع البيضاوي، و مختصر في المنطق، و تفسيرٌ، و غير ذلك، ولد سنة: 716 هـ، وتوفِّي سنة: 803 هـ[2] .

6 ـ أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي أصلاً التونسي مولدًا، تولَّى القضاء بالقاهرة ثم بحلب، و أخذ عن والده و أبي عبد الله محمَّد بن بدَّال، و أبي العبَّاس القصَّار، و أبي عبد الله بن حيدرة، و ابن عبد المهيمن، و غيرهم من أعلام عصره، و أخذ عنه مجموعةٌ من طلبة العلم منه ابن مرزوق الحفيد، و الدَّماميني، و البساطي، و البسيلي، و ابن عمَّار، و ابن حجر، ألَّف كتبًا كثيرةً منها تاريخ السير و العبر، و المقدّمة، و شرح البردة، و ألَّف في الحساب و أصول الفقه، و لخَّص محصل الفخر الرَّازي، و كتب ابن رشيد، و غيرها من التآليف الجليلة، ولد سنة: 732 هـ و توفِّي سنة: 807 هـ[3] .

7 ـ أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي القنطوري الأندلسي، تولَّى قضاء بعض الجهات بالأندلس، أخذ عن والده، و عبد العزيز القوري، و أبي رشيد، و أبي موسى ابن الإمام، و أبي عمران المشذالي، وابن هارون، و ابن بدال، و ابن البراء، و

---

1. تاريخ الدولتين ص : 142 .
2. انظر / تاريخ الدولتين ص : 242 و ما بعدها و شجرة النور ص : 227 .
3. انظر / نيل الابتهاج ص : 250 و ما بعدها و شجرة النور ص : 227 = 228 .

ابن عبد الستار، و غيرهم مما هو كثير، ترجم شيوخه في رحلته، و أطال الثَّناء عليهم، ألّف كتابه المشهور ( تاج المفرق في تحلية علماء المغرب و المشرق ) ذُكر أنَّه كان حيًا سنة: 755 هـ[1] .

8 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمَّد بن الحسن الجذامي المالقي ـ نسبةً إلى مدينةٍ بالأندلس استقرَّت بها أسرته ـ النُّباهي، تولَّى القضاء بغرناطة، أخذ عن أبي محمَّد عبد الله التجيبي، و عن الخطيب الطنجالي، و القاضي أبي القاسم بن سعيد الحميري، و أبي جعفر بن عبد الحق، و قد ذكر في كتابه تاريخ قضاة الأندلس أنَّه حضر بعض مجالس ابن عبد السَّلام العلميَّة، و لا بأس أن نورد ما ذكره في مجلسه حيث قال:

و كان هذا القاضي ـ رحمه الله ـ مشتغلاً بالعلم و تدريسه، قلَّما يفتر في كثرة أوقاته عن نظره و اجتهاده . حضرتُ مجلس إقرائه بتونس عند وصولي إليها في الموكب الغربي؛ فألفيته يتكلَّم في الباب الثَّاني من كتاب ( المعالم ) للفقيه ابن الخطيب الدَّاني، إلى أن بلغ إلى مناظرة أبي الحسن الأشعري لأستاذه أبي علي الجبَّائي، المنصوصة في الباب التَّاسع، حيث سأله عن ثلاثة أخوةٍ، أحدهم كان مؤمنًا، و الثَّاني كان كافرًا، و الثَّالث كان صغيرًا، ماتوا كلُّهم؛ فكيف حالهم ؟ .

فقال الجبَّائي: أمَّا المؤمن ففي الدَّرجات؛ و أمَّا الكافر ففي الدَّركات؛ و أمَّا الصَّغير فمن أهل السَّلامة ! .

فقال الأشعري: إنْ أراد الصَّغير أن يذهب إلى درجات المؤمن، هل يؤذن له فيها ؟ .

فقال الجبَّائي: لا؛ لأنَّه يُقال له إنَّ أخاك المؤمن إنَّما وصل إلى تلك الدَّرجات بسبب طاعته الكثيرة، و ليس لك تلك الطَّاعة ! .

فقال أبو الحسن: فإن قال ذلك الصَّغير: التَّقصير ليس منِّي؛ لأنَّك لا أبقيتني و لا أقدرتني على الطَّاعة .

---

1. انظر / نيل الابتهاج ص : 173 و شجرة النور ص : 229 .

فقال الجبَّائي : يقول الله تبارك و تعالى: كنتُ أعلم أنَّك لو بقيتَ صرتَ مستحقًّا للعقاب فراعيتُ مصلحتك .

قال أبو الحسن: فإن قال الكافر: يا إله العالمين ! كيف علمتَ حاله علمتَ حالي ! فلمَ راعيتَ مصلحته دوني ! .

فانقطع الجبَّائيُّ، و هذه المناظرة دالَّةٌ على أنَّ الله سبحانه يخصُّ برحمته من يشاء ا هـ[1] .

و للشيخ أبي الحسن تصانيف غايةٌ في الإجادة منها كتابه المرقاة العليا في مسائل الفتيا و كتابه تاريخ قضاة الأندلس وبحثٌ في مسألة الدُّعاء بعد الصَّلاة، ولد سنة: 713 هـ، و لم تذكر كتب التَّراجم تاريخ وفاته إلاَّ أنَّ التنبكتي قال: إنَّه كان حيًا سنة: 792 هـ[2] .

9 ـ أبو القاسم حسن بن ميمون القيسي القسنطيني المعروف بابن باديس، روى عن ابن غريون و غيره، و أخذ عن مجموعة مشائخ كأثير الدِّين أبي حيَّان و ابن جابر القيسي و ابن مرزوق و غيرهم، تولَّى القضاء بقسنطينة، ولد في حدود سنة سبعة و سبعمائة، و توفِّي بها سنة 784 هـ[3] .

10 ـ أبو القاسم عبد الله بن يوسف النِّجاري المالقي الفاسي، أخذ عن والده و خاله أبي الحكم و أحمد بن عبد الحق الجدلي و الطنجالي و القاضي ابن بكر و غيرهم من علماء عصره، ولد سنة 718 هـ، و توفِّي سنة 784 هـ[4] .

**ـ مستواه العلمي و ثناء العلماء عليه:**

حلاَّه بعض مترجميه ببعض الأوصاف التي تُظهر مكانته العلمية بين أقرانه ومعاصريه، وتُؤكِّد صدقه، و إخلاصه، و ورعه، و عدله، و تقواه، فقد قال عنه الشيخ محمَّد بن إبراهيم الزَّركشي هذا القول:

---

1. تاريخ قضاة الأندلس ص : 163 .
2. انظر / ترجمة المؤلِّف في مقدِّمة كتاب تاريخ قضاة الأندلس و نيل الابتهاج ص : 329 = 330 .
3. انظر / شرف المطالب مع موسوعة أعلام المغرب 696/2 و نيل الابتهاج ص : 160 .
4. انظر / نيل الابتهاج ص : 221 .

ـ ( . . . و كان الشيخ ابن عبد السَّلام عالمًا ساد بالعلم، و رأس، و اقتبس من الحضرة ما اقتبس، له التَّأليف المشهور الذي شرح فيه ابن الحاجب، و كان غيره من شرح ابن الحاجب بالنَّسبة إليه كالعين من الحاجب، جمع بين القضاء و الخطابة و التَّدريس و الفتوى )[1] .

كما أشاد ابن خلدون بمنزلته العلمية بين أقرانه في معرض كلامه عن شُرَّاح مختصر ابن الحاجب الفرعي، و ذكر منزلة هذا المختصر عند العلماء بقوله:

( . . . و قد شرحه جماعةٌ من شيوخهم كابن عبد السَّلام و ابن راشد و ابن هارون، و كلُّهم من مشيخة أهل تونس، و سابق حلبتهم في الإجادة في ذلك ابن عبد السَّلام )[2] .

و قال عنه الإمام خالد البلوي في رحلته:

ـ ( . . . . البحر المتلاطم الأمواج، و المنهل الذي تُرْوى بعذبه بقاع الوهاد و تلاعِ الفجاج، المجموع الذي نزلتْ بساحته مفترقات العلوم نزول الماء الثَّجَّاج، قاضِ القضاة، و إمام الفقهاء و النُّحاة، و ربّ العقل و بحر الصِّلات، الشَّيخ العالم العلاّمة، قطب الشورى، و عماد الفتيا، قدوة علماء الإسلام، أبو عبد الله بن عبد السَّلام، رجلٌ نشأ في العفَّة و الصِّيانة، و تبوَّأ ذروة الطَّهارة و الدِّيانة، و صعد من هضبة التُّقى على أعلى المكانة، فلم تُعرف له قطُّ صبوة، و لا حُلَّتْ له إلى غير الطَّاعة حبوة، على أنَّ المسهب في أوصافه الكريمة سكِّيتٌ و قاصد، و هيهات يضرب في حديدٍ باردٍ ) إلى أن قال:

( . . . . ما قرن به فاضل إلاَّ رجحه، و لا ألقي إليه بسهمٍ من العلوم إلاَّ كشفه و أوضحه، عدلاً في أحكامه، جزلاً من إقباله في فعله و كلامه، له صادقات عزائم، لا تأخذه في الله لومة لائم )[3] .

كما وصفه ابن فرحون بقوله:

---

1. تاريخ الدَّولتين ص : 146 = 147 .
2. مقدِّمة ابن خلدون ص : 357 .
3. انظر / نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص : 406 و الحلل السندسيَّة ص : 577 و ما بعدها .

( . . . . كان إمامًا، عالمًا، حافظًا، متفنِّنًا، فصيح اللسان، صحيح النَّظرة، قويُّ الحجَّة، له أهليَّة التَّرجيح بين الأقوال )[1] .

**ـ ما قاله العلماء فيه:**

قال فيه الشيخ أبو الحسن علي بن منتصر الصوفي ـ و كان لا يبالي بذي سلطان لسطانه، و لا تأخذه في الله لومة لائم ـ في كتابٍ كتبه للقاضي ابن عبد السَّلام:

( يا محمَّد ليت أمَّك لم تلدك، و ليت إذ ولدتك لم تتكلَّم، و ليت إذ تكلَّمتَ لم تتعلَّم )[2].

كما نقل لنا ابن عرفة مقالة ابن الحباب فيه حيث قال:

( حضرتُ جنازة ابن راشد القفصي، فقُدِّرَ أنْ جلس ابن الحباب بالجبانة مستندًا إلى حائط جبَّانةٍ أخرى، و كان بالأخرى مستندًا إلى ذلك الحائط الشيخان القاضي ابن عبد السَّلام والمفتي ابنُ هارون، فأخذ ابنُ الحباب في الثَّناء على ابن راشد، و ذكر من فضائله و علمه أنَّه أوَّل من شرح جامع الأمَّهات لابن الحاجب، ثمَّ جاء هؤلاء السُّرَّاق، و أشار إلى الجالسين خلفه، فعمد كلُّ واحدٍ منهما إلى وضع شرحٍ عليه، و أخذ من كلامه ما لولاه ما علم أين يمرُّ، و لا يجيء )[3] .

**ـ موقفه من الحكَّام إثر تولِّيه القضاء:**

استمرَّ ابن عبد السَّلام على ما نشأ عليه من قول للحقِّ، و إظهاره له، فلم يُغيِّر منصبه القضائي من شخصيَّته، و شدَّته، و صرامتهً بل زاد ذلك من إصراره على الأمر بالمعروف، و النَّهي عن المنكر و لو كان ذلك أمام السلاطين و الحكَّام، و يُؤكِّد صدق هذه الأخبار ما سطَّرته كتب التَّراجم عن سيرته، من ذلك ما ذكره أبو الحسن المالقي في كتابه حيث قال:

---

1. كتاب العمر 207/1 .
2. تاريخ الدولتين ص : 157 .
3. المرجع السَّابق ص : 152 = 153 و نيل الابتهاج ص : 394 = 395 و شجرة النُّورص:208 .

( ممَّا عُرِف عن ابن عبد السَّلام في قطره القوَّة على أمر النَّاس، و الاستخفاف بسخطهم، وملامتهم في حقِّ الله، وحفظ ما يرجع لرسوم القضاء ) .

و من ذلك عملُه في العقد الذي شهد فيه جملةٌ من أعلام المغرب، أيَّام كونهم بتونس عند دخولها في الإيالة المرينيَّة، فردَّ شهادتهم، و عوتب على ذلك؛ فقال:

أو ليس قد فرُّوا من الزَّحف، مع توفُّر الأسباب المانعة لهم شرعًا عن الوقوع في معرَّة الأدبار ! ؟ و يُشير إلى الكائنة الشَّنعاء التي كانت لهم بظاهر طريفٍ مع الرُّوم عام 741 هـ [1] .

و من أخباره أنَّه لمَّا تغلَّب الشَّيخ أبو محمَّد عبد بن تافرجين على مدينة تونس دون قصبتها عند خروج السُّلطان أبي الحسن أمير المسلمين عنها، بقصد مُدافعة وفود العرب العادية على أرضها، فهزمت جيوشه، و استقرَّ هو ومن بقي معه من جنده محصورًا بداخل القيروان، فجاء في أثناء ذلك يوم الجمعة؛ فقال المتغلِّبُ على الأمر للخطيب بالمسجد الجامع بتونس: اخطبْ بدعوة الأمير أبي العبَّاس بن أبي دبُّوس من الموحِّدين، و كان في المسجد القاضي ابن عبد السَّلام؛ فقال: و السُّلطان المرِيني ؟.

فراجعه الشَّيخ بأنَّه في حكم الحصار داخل القيروان بحيث لا يستطيع الدِّفاع عن نفسه .

قال: فتلزم إذًا مناصرته، و العمل على الوفاء بما شرط له عند مبايعته ! .

فردَّ عليه بأنَّ الأخبار تواترت بعد ذلك بتلفه، و انتزاع ملكه .

فقام الخطيب و قال: على تقدير صحَّة هذا النَّقل: الفرع زال بزوال الأصل، انظروا ما يصلح بكم لخطبتكم !، و ارتفعت الأصوات و المراجعات، فقطع القاضي الكلام بمبادرته إلى الخروج وهو يقول:

لم يثبت لدينا ما يوجب العدول عن طاعة السُّلطان أبي الحسن، واستصحاب الحال حجَّةٌ لنا و علينا ! ، و كاد وقت صلاة الجمعة أن يفوت؛ فوجَّه عند ذلك

---

1. تاريخ قضاة الأندلس ص : 161 .

المُتغلِّب على المدينة إلى القاضي ثقةً يخبره باستمرار الأمر في الخطبة على ما كانت عليه؛ فدعا الخطيب و تمَّت الصَّلاة على الرَّسم المتقدِّم، و حصلت السَّلامة للقاضي بحسن نيَّته .

و من جملة المواقف التي انتصر فيها للحقِّ، و لم يبع فيها دينه من أجل إرضاء الأمير تلك الحكاية التي رويتْ عن ابن خلدون مفادها:

أنَّ الأمير أبا يحي استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة، و المثول بين يديه، ليلة الميلاد الشَّريف النَّبوي؛ إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة الغربيَّة، من الاحتفال في الأطعمة، و تزيين المحلِّ، بحضور الأشراف، وتخيُّر القوَّالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة، فحين كمل المقصود من المطلوب، و قعد السُّلطان على أريكة ملكه، ينظر في ترتيبه والنَّاس على منازلهم بين قاعدٍ وقائمٍ، هزَّ المُسمِّع طرَّه، وأخذ يهنِّئهم بألحانه، وتبعه صاحب يراعةٍ بعادته من مساعدته، وعند ذلك تزحزح القاضي أبو عبد الله عن مكانه، وأشار بالسَّلام على الأمير، وخرج من المجلس فتبعه الفقهاءُ بجملتهم إلى مسجد القصر، فناموا به فظنَّ السُّلطان أنَّهم خرجوا لقضاء حاجاتهم، فأمر أحد وزرائه بتفقُّدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم، وأعلم الوزيرُ الموَجَّه لما ذُكِرَ القاضيَ بالغرض المأمور به، فقال له:

أصلحك الله! هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها، وجمعنا السُّلطان ـ أبقاه الله ـ من أجلها، لو شهدها نبيُّنا المولود فيها ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ لم يأذن لنا في الاجتماع على ما نحن فيه، من مسامحة بعضنا لبعض في اللَّهو، ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء، وقد وقع الاتِّفاق من العلماء على أنَّ المجاهرة بالذَّنب محظورةٌ، إلاَّ أنْ تمسَّ إليها حاجةٌ كالإقرار بما يُوجب الحدَّ أو الكفَّارةَ .

فليسلم لنا الأمير ـ أصلحه الله ـ في القعود بمسجده هذا إلى الصَّباح، وإن كنَّا في مطالبةٍ أُخر من تبعات رياء، ودسائس أنفسْ ، وضروب غرور، لكنَّا كما شاء الله في مقام الاقتداء ـ لطف الله بنا أجمعين بفضله ـ فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحي، وأعلمه بالقصَّة، فأقام يسيراً وقام من

مجلسه، وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه، ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد .

وصار في كلَّ ليلةٍ يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعامٍ على الضُّعفاء، وإرفاق الفقراء، شكرًا لله [1].

و من الأحداث التي تُبيَّن مكانة و هيبة القاضي في البلاط الخلفي أنَّ ابن تافراجين لم يستطع أخذ البيعة لأبي حفصٍ عمر بعد وفاة أخيه السُّلطان إلاَّ بالحيلة و المراوغة وتمَّ له ذلك بعد أن استدعى القاضي ابن عبد السَّلام وقاضي الأنكحة الآجمي، ثمَّ ضبط أبواب القصر، و أحكم غلقها، فقال لهما: تبايعاني ؟ .

فقالا: نحن شهدنا في بيعة أخيك أحمد صاحب قفصة فأعطنا شهادتنا نقطِّعها فحينئذٍ نشهد في بيعتك .

قال الشيخ ابن عرفة:

فخاض النَّاس بعضُهم في بعضٍ و هم جلوسٌ في القبَّة الكبرى، فأمر الشَّيخ ابن تافراجين أن لا يخرج أحدٌ من القبَّة، و فسح المجلس بقوله للقاضيين:

نحن نمشي نشتغل بمؤنة دفن السُّلطان و حينئذٍ نجتمع .

و استدعى وجوه الموحِّدين و بعض وجوه البلد، و أخرج لهم الأمير عمر، فبايعوه، و ما شعر القاضيان و من معهما حتَّى سمعوا جلبة الطبول و البوقات والسَّلام .

فقالوا : ما هذا ؟ .

فقيل: قد بايع النَّاسُ الأمير عمر .

فلمَّا رأوا تمام البيعة وانعقادها كتبوا وثيقةً بعقد البيعة للأمير عمر، و هذا من حسن سياسة ابن تافراجين[2] .

و كلُّ ذلك ليس بغريبٍ على قاضٍ وهب نفسه وماله للعلم، و نشر تعاليم الإسلام، وما ينفكُّ يشتغل بالعلم و تدريسه، و قلَّما يفتر في كثرة أوقاته عن نظره

---

1. المرجع السَّابق ص : 162 = 163 .
2. انظر / تاريخ الدَّولتين ص : 165 .

واجتهاده، و لعلَّ المتتبِّع لتاريخ حياته يجد فيه من الأحداث و الوقائع ما لا يسعنا حصره وكتابته .

**ـ مؤلفاته :**

إنَّ المتتبِّع لسيرة ابن عبد السَّلام، و حياته العلمية لا يعتريه أدنى شكٌّ أنَّ رجلاً و هب نفسه للفتيا، و أعطى جلَّ وقته للتَّدريس، و خلَّف مرجعًا فقهيًّا له مكانته بين سائر كتب الفقه أنَّ له كتُبًا و مصنَّفاتٍ غفلتْ كُتب التَّراجم عن حصرها، و لكنَّها أشارتْ إلى ذلك إشارةً عامَّةً، فمن ذلك ما ذكره الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله النُباهي المالقي حيث قال في ترجمته:

( . . . . أدَّب، و هذَّب، و صنَّف كتبًا منها شرحه لمختصر أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب الفقهي، المتداول لهذا العهد بأيدي النَّاس ) وديوان فتاوى[1].

و لو كُتب البقاء لهذه الكتب، و انتُشلتْ من الضَّياع، و انتشرتْ كغيرها من مؤلَّفات أقرانه، لكان لها صيتٌ ذائعٌ، و مكانةٌ مرموقةٌ؛ لما هو ظاهرٌ في حسن عرضه، و ترتيبه، و جودة صناعته لكتابه ( تنبيه الطالب لفهم ألفاظ جامع الأمهات لابن الحاجب )، ولكانت رصيدًا فكريًا عظيمًا ينتفع به كل من أراد النَّهل من كتب التراث الإسلامي، وسوف أهتم إن شاء الله تعالى في الوقت القريب بإعداد بحثٍ عن التعريف بكتاب ابن عبد السلام المسمى ( تنبيه الطالب لفهم ألفاظ جامع الأمهات لابن الحاجب ) ومنهج المؤلف في هذا الكتاب، ومن الله العون، وعليه التكلان .

## قائمة المصادر والمراجع

1. أزهار الرِّياض للمقري شهاب الدّين أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المغرب _ دولة الإمارات 1978 م .

2. الأعلام لخير الدّين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ط / الرابعة 1979 م .

1. انظر / تاريخ قضاة الأندلس ص : 161 .

3. إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون لإسماعيل باشا البغدادي، اسطنبول 1951 م .

4. التّعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات لابن عبد السلام الأموي ، تحقيق حمزة أبو فارس _ محمد أبو الأجفان . دار الحكمة طرابلس ليبيا ط / الأولى 1994 م .

5. الحلل السندسيَّة . الوزير السراج . تحقيق محمد الحبيب الهيلة . دار الغرب الإسلامي بيروت 1986 م .

6. الدِّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي. تحقيق : محمد أبو النور ، دار التراث القاهرة _ دار الكتب العلمية .

7. الفكر السَّامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد الحجوي الثعالبي ، تحقيق أيمن صالح شعبان . دار الكتب العلمية ط / الأولى 1416 هـ _ 1995 م .

8. المسائل الفقهيَّة لابن القدّاح الهوّاري ، تحقيق محمد أبو الأجفان . مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ط / الأولى 1413هـ _ 1992 م .

9. الوافي بالوفيات للصفدي. دار النشر : فرانز شتايز ، ط / الثانية 1981م.

10. الوفيات لابن رافع السَّلامي ، تحقيق صالح مهدي عباس _ بشار عوّاد معروف . دار مؤسسة الرسالة بيروت ط / الأولى 1402 هـ .

11. تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي لروبار برنشفيك ، نقله إلى العربية حمّادي السحالي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط / الأولى 1988 م .

12. تاريخ الدولتين الموحّديّة والحفصيّة لمحمد الؤلؤي الزركشي ، تحقيق الحسين اليعقوبي ، المكتبة العتيقة تونس .

13. تاريخ قضاة الأندلس ( المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ) لأبي الحسن النباهي المالقي ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق بيروت ط/ الأولى 1400 هـ 1980 م ومركز الموسوعات العالمية بيروت . الكتب التجاري للطباعة بيروت .

14. تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان و حوادث السنين مع موسوعة أعلام المغرب تنسيق وتحقيق محمد حجّي ، دار الغرب

15. تراجم المؤلِّفين التُّونسيِّين لمحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط / الأولى 1404 هـ _ 1984 م .

16. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ، تحقيق أحمد بكر محمود ، دار مكتبة الحياة بيروت ـ دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا .

17. سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ محمد نعيم العرقسوسي ، دار مؤسسة الرسالة بيروت ط / التاسعة .

18. شجرة النُّور في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف . تصوير بيروت .

19. شرف الطالب في أسنى المطالب مع موسوعة أعلام المغرب تنسيق وتحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت .

20. صحيح البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ت: 256 ، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – 1407 – 1987 ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

21. كتاب العمر في المصنَّفات و المؤلِّفين التونسيِّين لحسن حسني عبدالوهاب ، تحقيق محمد العمروس ـ بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط/ الأولى .

22) ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ، دار الكتب العلمية بيروت 1413 هـ 1992 م .

23. لقط الفرائد من لفاظة حقوق الفوائد مع موسوعة أعلام المغرب تنسيق وتحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت .

24. مجلّة البحوث الفقهيّة المعاصرة .

25. مسامرات الظريف بحسن التعريف لأبي عبد الله محمد السنوسي ،تحقيق الشاذلي النيفر ، دار بو سلامة تونس ، ط / الأولى 1984 م .

26. مقدِّمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، دار الباز بمكة المكرمة .

27. نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب للشيخ أحمد المقري التلمساني ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1388 هـ _ 1968م.

28. نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ، تحقيق عبد الحميد الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،ط / الأولى 1398 هـ _ 1989 م .

29. هديَّة العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ، اسطنبول . ط / الأولى 1951م.

30. الوفيات لابن قنفد ، تحقيق عادل نو يهض . منشورات دار الآفاق الجديدة ط / الثانية 1987 م .

31. وفيات الونشريسي مع موسوعة أعلام المغرب تنسيق وتحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت .